

روح المعاني

ورحمة والحال من الناس من يشتري إلخ و لهو الحديث على ما روى عن الحسن كل ما شغلك عن عبادة الله تعالى وذكره من السمر والإضحك والخرافات والغناء ونحوها والإضافة بمعنى من أن أريد بالحديث المنكر كما في حديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش بناء على أنها بيانية وتبعيضية أن أريد به ما هو أعم منه بناء على مذهب بعض النحاة كابن كيسان والسيرافي قالوا : إضافة ما هو جزء من المضاف إليه بمعنى من التبعيضية كما يدل عليه وقوع الفصل بها في كلامهم والذي عليه أكثر المتأخرين وذهب إليه ابن السراج والفارسي وهو الأصح أنها على معنى اللام كما فصله أبو حيان في شرح التسهيل وذكره شارح اللمع .

وعن الضحاك أن لهو الحديث الشرك وقيل : السحر وأخرج ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي الصهباء قال : سألت عبداً ابن مسعود عن قوله تعالى : ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال : هو والله الغناء وبه فسر كثير والأحسن تفسيره بما يعم كل ذلك كما ذكرناه عن الحسن وهو الذي يقتضيه ما أخرجه البخاري في الأدب المفرد وابن أبي الدنيا وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن عباس أنه قال : لهو الحديث هو الغناء وأشباهه وعلى جميع ذلك يكون الإشتراء إستعارة لإختياره على القرآن وإستبداله به وأخرج ابن عساكر عن مكحول في قوله تعالى : من يشتري لهو الحديث قال الجواري الضاربات .

وأخرج آدم وابن جرير والبيهقي في سننه عن مجاهد أنه قال فيه : هو إشتراؤه المغنى والمغنية والإستماع إليه وإلى مثله من الباطل وفي رواية ذكرها البيهقي في السنن عن ابن مسعود أنه قال : في الآية هو رجل يشتري جارية تغنيه ليلاً أو نهاراً وأشتهر أن الآية نزلت في النصر بن الحرث ففي رواية جويبر عن ابن عباس أنه أشتري قينة فكان لا يسمع بأحد يريد الإسلام إلا أنطلق به إلى قينته فيقول : أطعميه وأسقيه وغنيه ويقول : هذا خير مما يدعوك إليه محمد صلى الله عليه وسلم من الصلاة والصيام وأن تقاتل بين يديه فنزلت .

وفي أسباب النزول للواحدي عن الكلبي ومقاتل أنه كان يخرج تاجراً إلى فارس فيشتري أخبار الأعاجم وفي بعض الروايات كتب الأعاجم فيرويهما ويحدث بها قريشاً ويقول لهم : إن محمداً E يحدثكم بحديث عاد وثمود وأنا أحدثكم بحديث رستم وأسفنديار وأخبار الأكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون إستماع القرآن فنزلت وقيل : إنها نزلت في ابن خطلأ أشتري جارية تغني بالسب ولا يأبى نزولها فيمن ذكر الجمع في قوله تعالى بعد : أولئك لهم كما لا يخفى عل

بالفطن والإشتراء على أكثر هذه الروايات على حقيقته ويحتاج في بعضها إلى عموم المجاز أو الجمع بين الحقيقة والمجاز كما لا يخفى على من دقق النظر جعل المغنية ونحوها نفس لهو الحديث مبالغة كما جعل النساء في قوله تعالى : زين للناس حب الشهوات من النساء نفس الزينة .

وفي البحر إن أريد بلهو الحديث ما يقع عليه الشراء كالجواري المغنيات وككتب الأعاجم فالإشتراء حقيقة ويكون الكلام على حذف مضاف أي من يشتري ذات لهو الحديث .
وقال الخفاجي : عليه الرحمة لا حاجة إلى تقدير ذات لأنه لما أشتريت المغنية لغنائها فكأن المشتري هو الغناء نفسه فتدبره وفي الآية عند الأكثرين ذم للغناء بأعلى صوت وقد تضافرت الآثار وكلمات كثير من العلماء الأخيار على ذمه مطلقا لا في مقام دون مقام فأخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي في شعبه عن ابن مسعود قال : إذا ركب الرجل الدابة ولم يسم ردفه شيطان فقال : تغنه فإن كان لا يحسن قال : تمنه وأخرج أيضا عن